بـــاب
أسباب النُّصرة الغيبيَّة لِلصَّحابة

تحمُّل المكروه والشدائد

حديث ابن عوف في أنَّ الصحابة وجدوا الخير في المكروه والشدائد

أخرج البزّار عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: نزل الإسلام بالكره والشدّة، فوجدنا خير الخير في الكراهة، فخرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة، فجُعل لنا في ذلك العلاء والظفر، وخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى بدر على الحال التي ذكر الله عزّ وجلّ وتبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يجادِلُونك فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[1] والشوكةُ قريش، فجعل الله لنا في ذلك العلاء والظفر فوجدنا خير الخير في الكره. قال الهيثمي (٧/ ٢٧): وفيه: عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

كتاب أبي بكر لخالد رضي الله عنهما في هذا الأمر

أخرج البيهقي في سننه (٩/ ١٧٩) عن محمد بن إسحاق بن يَسَار، في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه حين فرغ من اليمامة[2] قال: فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة:

«من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. سلامٌ عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فالحمدُ لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعزّ وليه، وأذلّ عدوّه وغلب الأحزاب فرداً، فإنّ الله الذي لا إله إلا هو، قال:

---

(١) [٨/ سورة الأنفال/ ٥ ـ ٧].

(٢) «اليمامة»: بين اليمامة والبحرين عشرة أيّام، فتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة وقتل فيها مسيلمة الكذّاب ثمّ صولحوا. «معجم البلدان» (٥/ ٤٤٢).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[1] وكتب الآية كلّها وقرأ الآية.

وعْداً منه لا خُلفَ له، ومقالاً لا ريب فيه، وفرض الجهاد على المؤمنين، فقال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[2]

حتى فرغ من الآيات. فاستتمُّوا بوعد الله إياكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم، وإن عظمت فيه المؤنة، واستبدّت الرزية[3]، وبعدت الشُّقّة، وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس، فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله، فاغزوا ـ رحمكم الله ـ في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ـ كتب الآية ـ ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق، فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه، ولا تثاقلوا عنه، فإنّه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنتْ فيه نيّته، وعظمت في الخير رغبتُهُ، فإذا وقعتم العراق، فكونوا بها حتى يأتيكم أمري، كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وقد تقدّمت قصص الصحابة رضي الله عنهم في تحمُّل المكروه والشدائد في باب تحمل الشدائد والأذى، وباب الهجرة، وباب النُّصرة وباب الجهاد، وغير ذلك مفصّلة.

امتثال الأمر مع خلاف الظاهر

أخرج أحمد عن عتبة بن عبد السُّلمي: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «قُوموا فقاتلوا» فقالوا: نعم يا رسول الله ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ ولكن انطلق أنت وربُّك يا محمد وإنا معكم نقاتل. قال الهيثمي (٦/ ٧٥): رجاله ثقات. وقد تقدم في باب الجهاد (١/ ٣٦١) قول المقداد رضي الله عنه نحوه عند ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما، وقول سعد بن عبادة رضي الله عنه

(١) [٢٤/ سورة النور/ ٥٥].
(٢) [٢/ سورة البقرة/ ٢١٦].
(٣) «الرزية»: المصيبة.

(١/ ٤٦٢) والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغماد[١] لفعلنا؛ وعند أحمد من حديث أنس رضي الله عنه، وقولُ سعد ابن معاذ رضي الله عنه (١/ ٤٦٢) عند ابن مردويه عن علقمة بن وقاص الليثي: فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قطُّ، ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يَمَنَ، لنسيرنَّ معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم متبعون، ولعلَّ أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، فصِلْ حبال من شئت، واقطعْ حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسالم من شئت، وخُذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[٢]. وزاد الأموي: وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرُنا تَبَعٌ لأمرك.

التوكل على الله تعالى وتكذيب أهل الباطل

قصة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذا الأمر مع منجِّم

أخرج الحارث والخطيب في كتاب النجوم عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن مسافر بن عوف بن الأحمر: قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انصرف من الأنبار[٣] إلى أهل النَّهروان[٤]: يا أمير المؤمنين! لا تَسِرْ في هذه الساعة وسِرْه في ثلاث ساعات يمضين من النهار، قال علي: ولِمَ! قال: لأنك إن سرتَ في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرتَ وأصبت وطلبت، فقال عليٌّ: ما كان لمحمد ﷺ منجِّم ولا لنا من بعده، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسَبتُ علمتُ، قال: من صدَّقك بهذا القول كذَّب القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما في الأَرْحامِ﴾[٥] الآية، ما كان

---

(١) «بَرْك الغماد»: موضع باليمن.

(٢) [٨/ سورة الأنفال/ ٥].

(٣) «الأنبار»: مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جورجان وهي على الجبل. «معجم البلدان» (١/ ٢٥٧).

(٤) «النهروان»: هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة، كان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج مشهورة. «معجم البلدان» (٥/ ٣٢٤).

(٥) [٣١/ سورة لقمان/ ٣٤].